حكومة الكاظمي مثقوبة السيادة

د. باهرة الشيخلي
كاتبة عراقية

ينظر العراقيون إلى رئيس وزرائهم مصطفى الكاظمي على أنه أضعف رئيس حكومة جاء بعد الاحتلال سنة 2003، ويوافقهم في هذا محللون أميركيون. لكنّ هؤلاء المحللين ينتظرون أن يستفيد الكاظمي من الفرصة التي أعطتها له واشنطن، بينما العراقيون لا يفرقون بين الكاظمي وبين كل من جاء بهم الاحتلال، من جهة الولاء للعملية السياسية التي يطالبون بتغييرها، والذين بدأوا يتهكمون على إجراءاته ووعوده التي لم يقوَ على تحقيق واحد منها.

فإذا كان من سبقوه قد أتخموا العراقيين بـ"سين – سوف التسويف"، فإنه قد أتخمهم حدّ التجشؤ باستعماله وعودا قبل كل جملة يتفوه بها: وعد ألا يلعب العراق دور الوسيط بين طهران وواشنطن.. وعد أن يخضع قتلة الهاشمي للقضاء، ووعد ألا يسمح بالتدخل التركي في العراق، إلى غير ذلك من الوعود التي لم يتحقق أيّ شيء منها.

كان الكاظمي، في مفاوضات واشنطن، مستمعا جيدا لبرنامج أميركا، كما لو كان تلميذا مطيعا، فأميركا لديها إستراتيجية معدة، سلفا، جرى إعداد برامجها وفقا لقياسات مصالح واشنطن وعلى الوفد الضيف أن يصغي فقط، وإذا أراد أن يفاوض فإن المدى المسموح به يقتصر على سبل التنفيذ فقط.

إن حكومة الكاظمي مثقوبة "السيادة" من الجانبين الأميركي والإيراني، فهي لن تكون، في أفضل حال، إلا وسيلة مطيعة لهذا السيد وذاك المرشد ولا تملك لنفسها إرادة وليس لها من القدرات إلا الإعلانات الإعلامية والتصريحات الصحافية.

إيران تريد انسحاب القوات الأميركية من العراق وتستخدم ميليشياتها المتنفذة في العراق للضغط بهذا الاتجاه، وقد ذهب الكاظمي إلى واشنطن آملا أن يحصل على وعد من الإدارة الأميركية حول هذه النقطة تخلصا من الضغط الذي تمارسه عليه القوى السياسية الشيعية والميليشيات الولائية.

عشية زيارته إلى الولايات المتحدة عقد الكاظمي اجتماعات مهمة عديدة في بغداد، أولها في مقر هادي العامري مع قادة الفصائل المسلحة، الذين حضروا، باستثناء قادة عصائب أهل الحق، وشددت هذه الفصائل على ضرورة الطلب من الجانب الأميركي سحب قواته من العراق وإلا فإنها سوف تصعد من العمليات العسكرية، بل ذهب بعضها إلى أكثر من ذلك عندما أبلغ الكاظمي أن الاستهداف سيشمل حكومته في حال طلبه بقاء هذه القوات في العراق.

> **يرى الكثير من العراقيين أن واشنطن بوضع آمالها في سلة الكاظمي إنما تراهن على الحصان الخاسر فهو لا يقوى على مواجهة الميليشيات التي استبقت زيارته بهجمات على مواقع أميركية**

وفي اليوم الثاني عقد اجتماعا مع قيادات الكتل الشيعية حضره الجميع، بمن فيهم المالكي، الذي لا يحضر عادة الاجتماعات التي يدعو إليها الكاظمي، وبعد أن شرح الكاظمي خطورة المرحلة وحاجة العراق إلى هذه القوات في المرحلة الحالية، قال له الجميع لا بأس بذلك، مع ضرورة أن يكون هناك جدول زمني لانسحابهم، كما يجب أن يكون هناك تنسيق للقوات الأميركية لتحركاتهم على الأراضي والأجواء العراقية مع الحكومة العراقية.

وبذلك أخذ الكاظمي الضوء الأخضر ببقاء القوات، لاسيما وأن مطلب الكرد والسنة هو بقاء هذه القوات، وقد أبلغوا الكاظمي مسبقا بذلك، وبعدها بيوم واحد، زار قائد فيلق القدس الإيراني إسماعيل قاآني بغداد واجتمع مع الكاظمي وأبلغه رسالة إيرانية إلى ترامب مفادها رفع العقوبات عنهم وإنهاء التوتر، وبذلك فهم الكاظمي أن مطلب الفصائل المسلحة كان للضغط عليه، وتعهد الكاظمي لقاآني ببذل ما بوسعه لتحقيق هذا المطلب من الجانب الأميركي.

لكن وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو أغلق الباب بدعوته في المؤتمر الصحافي المشترك مع نظيره العراقي فؤاد حسين، إلى عدم التركيز على بحث سحب القوات الأميركية من العراق، مشددا على عبارة "ليس لدينا ما نعلنه بالنسبة إلى الأرقام حول سحب القوات من العراق، وأحث الجميع، بينما نتجه لعقد الحوار الإستراتيجي، ألا يركزوا على هذا الموضوع، بل على الجهود المشتركة" وأضاف "إن سيادة العراق تعتمد على استمرار الالتزام الأميركي بدعمه وتقديم المساعدة له ونحن مصممون على ذلك".

وعدّت القوى الولائية هذا الكلام مسعى أميركيا لحرف مسار الحوار الإستراتيجي عن هدفه الحقيقي والمتعلق بوجود القوات الأميركية، وهو ما يتناقض مع مطالباتها، إذ حذّر تحالف الفتح من أي إملاءات تفرضها واشنطن على الكاظمي وحكومته، مؤكدا أن "أغلب الكتل السياسية العراقية سترفض هذه الإملاءات والشروط، التي تكبل العراق من بوابة الاقتصاد وتجعل قراره السياسي رهينة لواشنطن".

إن نوعية الحفاوة في الاستقبال واللقاءات السياسية والاقتصادية، التي وفرتها الولايات المتحدة للكاظمي خلال زيارته لأميركا، دلالة واضحة على أن واشنطن تحاول كسبه إلى جانبها بالرغم من معرفتها أن قدرته وإمكانياته ضعيفة في مجابهة الميليشيات والأحزاب السياسية الموالية لإيران، وأن ما تقدمه واشنطن، اليوم، من مساعدات مالية وعقود وتفاهمات تجارية لمشاريع مستقبلية، يحمل أبعادا وإشارات سياسية لإيران أن العراق سوف يبقى تحت سقف أميركا ولن تتخلى عنه وهي في طريقها إلى إصلاح الخطأ الإستراتيجي، الذي ارتكبته إدارة أوباما في تقديم العراق لقمة سائغة لملالي إيران، وكذلك إشارات للصين إلى أن أميركا ستكون الشريك الاقتصادي للعراق، وفي الوقت نفسه، فإن واشنطن تصرّح علنا، على لسان رئيسها دونالد ترامب، بنيتها تخفيض العديد من القوات العسكرية داخل العراق وهذه مبادرة ومحاولة لتقليل الضغط الذي يواجهه الكاظمي من الميليشيات في أن يصل إلى اتفاق في إخراج القوات الأميركية.

يرى الكثير من العراقيين أن واشنطن بوضع آمالها في سلة الكاظمي إنما تراهن على الحصان الخاسر، فهو لا يقوى على مواجهة الميليشيات والقوى السياسية الموالية لإيران التي استبقت زيارته بهجمات مكثفة على المواقع الأميركية في العراق وتنفيذ عمليات اغتيال ضد المتظاهرين العراقيين بلغت 19 اغتيالا خلال أسبوع واحد.

إذ بدأت باغتيال الناشط تحسين أسامة الجمعة الـ14 من أغسطس الماضي وقتل ناشط مجهول الهوية داخل سيارته في محافظة البصرة، بعد يومين من ذلك، والناشط ياسر كاظم في بغداد، والذي فارق الحياة الاثنين الـ17 أغسطس أيضا، واغتيال الناشطة الدكتورة رهام يعقوب وصديقتها مع إصابة اثنتين أخريين، واختطاف الناشط المصور سيف علي، ومحاولة اغتيال الناشط فلاح الحسناوي، الذي أصيب بجروح وقتلت خطيبته في البصرة في الـ19 من الشهر نفسه.

كما تم استهداف منزلي الناشطين محسن الزيدي في محافظة ذي قار بعبوة ناسفة، والناشط أيوب الخزرجي بالرصاص في بغداد، فيما فشلت 7 عمليات اغتيال أخرى استهدفت الناشطين وسام الذهبي وعلي سلمان الجابري في محافظة ذي قار، وعباس صبحي ولوديا ريمون وفهد الزبيدي والمهندسة رقية الدوسري في البصرة، والناشطة المسعفة انتصار وهاشم الجبوري وزيدون عماد في بغداد.

وآخر ما جرى كان في أول ليلة من شهر محرم الحالي، إذ نجا من محاولات اغتيال ميليشياوية الدكتور عدنان الكهار والمتظاهر محمد جابر والدكتورة هالة الشمري لدى عودتها من التشييع الرمزي للمغدورة البصرية الدكتورة رهام يعقوب، والذي جرى في ساحة التحرير ببغداد، والدكتور محمد المنصوري.

هناك من ظنّ أن الحرب الأهلية ستندلع في العراق، إذا بقي الوجود الأميركي في العراق، وإذا لم يستطع الكاظمي إخراج القوات الأميركية من العراق، وهذا ظنّ يفسده إجماع العراقيين على ثورة تشرين واستعدادهم للتضحية بحياتهم من أجل تحرير العراق من عصابات العمائم الوضيعة وأولاد إيران الملالي وميليشياتهم المجرمة الفاسدة، الذين لم يفعلوا شيئا سوى بعض هجمات على المنطقة الخضراء، التي تضم السفارة الأميركية بالكاتيوشا، التي سقطت قذائفها في مساحات خالية.

يبدو أن الكاظمي ماض في مواجهة تغول أحزاب السلطة وميليشياتها. فقد شهدنا أنه اتخذ إجراءات وقرارات عديدة في مواجهة التغول الإيراني والأحزاب والميليشيات الولائية، ومنها مصادرة الأموال المنقولة وغير المنقولة لرموز سياسية فاسدة، منهم أصهار رئيس الوزراء العراقي الأسبق نوري المالكي وبعض النواب والمسؤولين السابقين.

لكن غزله المتواصل للميليشيات وقياداتها يجعل الريبة تسكن قلوب العراقيين الذين، لكثرة وعود السياسيين، التي لم تتحقق منذ 2003 إلى الآن، باتوا لا يثقون بأيّ وعد يطلقه سياسي، خصوصا من الذين مازالوا متمسكين بالعملية السياسية والجالسين تحت خيمتها. فهل سيبقى اسم الكاظمي عند العراقيين وعودا فقط أم أنه سيمحو هذه التسمية بأفعال يلمس العراقيون نتائجها؟

العدالة الباكية في العراق

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

سواء كنا معارضين للراحل صدام حسين أو موالين له ولنظامه فإن محاكمته، بقضاتها وادعائها العام وشهودها ومهاتراتها، ثم طريقة شنقه الاحتفالية في أول أيام عيد الأضحى، كانت حفلة ثأرية عراقية إيرانية طائفية وكردية عنصرية في أحدِ وجهيْها، وأميركية انتقامية في وجهها الآخر.

فاختيار موضوع الدجيل وقتلى الاعتداء على موكبه، وهو رئيس للجمهورية، كان اختيارا مفضوحا مقصودا لذاته أريد به تثبيت هوية الحكم الجديد الطائفية، وتعميق الانقسام المذهبي والعرقي والديني والمناطقي في الجسد العراقي، وإعلانا عن إطلاق اليد الإيرانية في شؤونه، وتسليم السلطة لنخبة وكلاء النظام الإيراني الحلفاء المدللين لإدارة الاحتلال الأميركي، لكي يجري الذي جرى، بعد ذلك، من تهجير وتغييب وترهيب وتهميش دفع الشعب العراقي وشعوب المنطقة، أمس، واليوم، وربما إلى سنين قادمة، دون ريب أثمانه دما وفقرا وخوفا وفرقة.

فلو كان هدف المعسكر الإيراني من المحاكمة، أحزابا وميليشيات ومرجعيات، ومن ورائها القيادة الأميركية، هو البحث عن العدالة المطلقة، بتجرد وحياد وموضوعية، لإنصاف القتلى العراقيين في عهده من مختلف الطوائف والقوميات والأديان، ومنهم عددٌ من أبناء قرية العوجا نفسها، مسقط رأسه، وتكارتةٌ عسكريون ومدنيون كبار كثيرون، لكانوا حاكموا صدام حسين بأي واحدة من تلك الجرائم المرتكبة ضد أبناء طائفته أو مدينته أو أسرته، لكي يبرهنوا على حيادهم ورغبتهم في بناء عراق ديمقراطي حقيقي موحد وعادل وعاقل ومعافى من الطائفية والعنصرية والمناطقية، ولكان العراقيون غير ما هم عليه اليوم من فقر وبؤس وخراب بيوت.

ثم زادوها وبالغوا في الانتقام الهمجي باعتقال وزراء ومسؤولين مدنيين وعسكريين في النظام السابق مشهود لهم بالنزاهة والخبرة، خدموا الدولة العراقية، والمواطن العراقي، أيا كان دينه أو طائفته أو عرقه أو منطقته، بذمة وشرف وأمانة ونزاهة يشهد لهم بها أهل محافظات الجنوب قبل أهل الوسط والشمال، وأمعنوا في إذلالهم بقلة شرف وضمير، حتى مات بعضهم تحت التعذيب أو بالإهمال والمرض، وصادروا منازلهم ونهبوا ممتلكاتهم وشردوا أسرهم، تنفيذا لأوامر مشددة كانت تأتيهم من وراء الحدود.

والذي يوحي بأن الحكام الجدد المجاهرين بالتعامل مع الدول الأجنبية كانوا مأمورين بتهشيم الدولة العراقية وقتل روح المواطنة الواحدة هو أنهم لم يعترفوا بإنجازات العهد السابق، ولم يحافظوا عليها ويبنوا عليها ويطوروها، بل تعاونوا على نسفها كلها، فخربوا الثقافة، وأفشلوا الري والزراعة، وأشاعوا الفوضى في التجارة، وأباحوا الاختلاس، وقاموا بتفكيك المصافي والمصانع وتهريبها إلى إيران وتركيا، واستهتروا بالسيادة، وسلطوا ميليشياتهم على السفارات العربية والأجنبية، وعلى الشركات الدولية التي كانت متعاقدة مع الحكومة العراقية السابقة، أو القادمة للمساهمة في التطوير والإعمار، لإجبارها على الرحيل لمنع أي أحد من خدمة الوطن والمواطن، الأمر الذي جعل العراق دولة فاشلة تعيش على الهبات والقروض بعد سرقة ثرواتها وأموالها باسم الله ورسوله وآله، وهم منهم ومن موبقاتهم براء.

أما التمسح بمظلومية الشيعة والأكراد العراقيين فلم يكن أكثر من كلمة حق أريد بها باطل أولئك المتاجرون بالطائفية والعنصرية، لتحقيق أمجاد لا يستحقونها.

وواهمٌ جدا أو مغفل من يصدق بأن أميركا، ومعها دول التحالف الدولي، كانت راغبة حقا في منع جماعات الإرهاب الإسلامي الشيعي والسني من الدخول إلى العراق، ناهيك عن إقامة دكتاتورية العقيدة الواحدة.

بعد هذه المقدمة ننتقل إلى الحديث عن تقرير لبعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي)، ومفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان (OHCHR) طالبتا فيه بـ"إجراء تحقيقات مستقلة وفعالة لتحديد مصير ما يقرب من الألف رجل وصبي مدنيين اختفوا خلال العمليات العسكرية ضد تنظيم داعش في محافظة الأنبار في عامي 2015 و2016، ومحاسبة الجناة، وتوفير العدالة والإنصاف لأسر الضحايا".

> **واهم جدا من يصدق أن الولايات المتحدة ومعها دول التحالف الدولي كانت راغبة حقا في منع جماعات الإرهاب الإسلامي الشيعي والسني من الدخول إلى العراق ناهيك عن إقامة دكتاتورية العقيدة الواحدة**

وذلك تزامنا مع اليوم العالمي لضحايا الاختفاء القسري لهذا العام في 30 أغسطس. واستنادا لتقرير هيومن رايتس ووتش، فإن عدد المغيبين والمختفين قسريا في العراق يتراوح بين 250 ألفا ومليون شخص، وهذا هو الرقم الأعلى في العالم.

ومعروف أن الاختفاء القسري يعني أن أحدا قام باختطافهم وإخفائهم في أماكن مجهولة قد لا تعلم بها حتى حكومة العراق الديمقراطي الجديد.

هذا في ما يخص الذين تم توثيق اختفائهم من قبل منظمات إنسانية عالمية متخصصة، ولكن ماذا عن مئات الآلاف من الرجال والنساء والأطفال الذين لم يوثق أحدٌ وقائع طردهم من منازلهم في مدن ديالى وصلاح الدين ونينوى والأنبار، وفي البصرة والناصرية والديوانية والنجف وكربلاء، وفي العاصمة أيضا، وتم تهجيرهم داخل الوطن وخارجه؟

أما نهب المنازل ونسفها وحرقها، وحالات الاعتداء على الأعراض، والابتزاز، والمتاجرة بالرقيق والمخدرات، والعبث بأمن مدن كاملة تسمى "محررة" والإقامة فيها لإرهاب أهلها، وأما الإهانات التي تُوجه لأكبر رأس في الدولة، وللقائد العام للقوات المسلحة، وللبرلمان، وأما الاستعراض الاستفزازي بالسلاح في عقر دار الحكومة، وأما الاغتيالات العلنية والسرية للمتظاهرين، وأما الخطف وطلب الفدية، فالحديث عنها يطول ويطول.

إن الذين كانوا، أيام المعارضة العراقية السابقة، يطالبون أميركا وأوروبا بمعاقبة صدام حسين بسبب مقابره الجماعية، هم أنفسُهم الذين برعوا، في عهدهم غير الميمون، في فنون المقابر الجماعية والإخفاء القسري لمئات الآلاف من العراقيين، بدوافع ثأرية طائفية أو عرقية، أو بأوامر من خارج الحدود.

ومنذ سنين ونواب ووزراء سابقون ومسؤولون آخرون يتحدثون، علنا على شاشات التلفزيون، عن سجون سرية تابعة لميليشيات وأحزاب يملكها ويديرها متدينون جدا يقيمون كل عام، ويقيمون هذه الأيام، مواكبَ عزاء مهيبة ضخمة يبكون فيها كثيرا، ويلطمون كثيرا على الإمام الحسين وعلى نسائه وصغاره الأبرياء لأنه قُتل مظلوما، ولأنهم قُتلوا معه مظلومين.

أما الآلاف من المظلومين الأبرياء الذين يقبعون في سجونهم السرية سنوات دون محاكمة، أو الذين دفنوهم في مقابر سرية جماعية، فلا يعرف أسرارَهم إلا الله ورئيسُ الوزراء الحالي مصطفى الكاظمي ومعاونوه، ونوري المالكي وهادي العامري وقيس الخزعلي وسفير الولي الفقيه.

سؤال أخير ومهم، هل يقرأ الكاظمي هذا المقال؟

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk